

إن الأخـــذ والإعطاء ، والتأثر والتأثير بين اللغات واللهجات المختلفة ظاهرة طبيعية شـهد عليها واعترف بها العلماء المختصون بفقه اللغة وعلمها شرقاً وغربـاً ، وبينوا أسبابها ودوافعها ، وسجلوا نتائجها وآثارهـا ، ومـن قديـم الزمـان وحديثه ، اعتـني علمـاء اللغـة المسـلمون بهـذا الجـانب ، وخصصـوا مبـاحث مسـتقلة للكشف عما لحق باللغة العربية من آثار الضعف والركاكة والعجمـة واللكنة في أساليبها وتعابيرها ، وتراكيبها وأوزانها بسبب احتكاكها بـاللغتين الفارسية والتركية بوجه خاص ، واللغات الأوربية الحديثة بوجـه عـام ، وكـان الجاحظ يعيب لغة أهل العراق بتأثرها بالفارسية ، وكان الأصمعي يحكـم على الرجل بالنبل إذا سمعه يعرب ، ويستصغره إذا سمعه في مصـر عربـي بتكلـم بالفارسية (١) ، كما أن الفصحاء العرب المعاصرين أيضاً يعيبون التعابير العربيـة المتـأثرة بالتعابير الإنجليزيـة أو الفرنسـية ، ويسـمونها بالـتراكيب الإفرنجية أو التعابير المترجمة (٢) .

ولا أشك في أن اللغة العربية تأثرت إلى حد ما بالأردية في شبه القـارة بما في ذلـك الهنـد وباكسـتان وبنغلاديـش ، مثلمـا تـأثرت فيهـا اللغـة الإنجليزيـة بمفردات لغات أهلها وتعابيرها ، وهذه الحقيقة لا أعتقد بأن يجهلها من له نظر ثاقب وذوق سليم ، واهتمام وعنايـة بالعربيـة والإنجليزيـة ، وقـد لاحـظ هـذا التأثر بعض الباحثين العرب في الترجمة العربية لكتاب : "التحفة الاثني عشـرية"

على يد أحد العلماء الهنود ، حيث جاء في الملاحظة : "غير أن بيانه العربي لا يزيد على ما ينتظر من مثله .. إنها (النسخة المترجمة) كثيرة الأخطاء فضلاً عن عجمة مترجمها" (٣) ، وصدرت ملاحظة مماثلة على الترجمة نفسها للكتاب نفسه من باحث عربي آخر حيث قال : "وكرر كثيراً من المسائل والأقوال بعبارات ليس لها حظ من فصاحة الكلام .. حيث إنه ممن يتكلم بالهندية ، ولم يمارس التخاطب باللغة العربية" (٤) .

وقد لاحظ كاتب هذه السطور منذ توجيه عنايته إلى تعلم الإنشاء العربي الحديث تأثيرات واضحة للغة الأردية في الكتابات والمحادثات العربية لطلاب المدارس الدينية ممن يدرسون العربية وأدبها بالأردية أو يدرسونها بلغتهم الأم البنغالية ولكن على الأساتذة الذين درسوها بالأردية ، ولمس هذه التأثيرات أيضاً في التعابير الكتابية والشفهية لبعض كبار أساتذة الأدب العربي بالمدارس الإسلامية الأهلية ، وحتى الكليات والجامعات الحكومية في بلاده بنغلاديش ، فحاول معرفة أسبابها ومواطنها ، وشرحها على ضوء ما يعرفه ويعترف به فقه اللغة وعلمها ، كما حاول العثور على بحث أو تأليف مستقل عالج هذا الموضوع ، أي تأثر اللغة العربية بالأردية وتأثيرها فيها ، فلم يجد شيئاً رغم أنه موضوع خطير يستحق الاهتمام والمعالجة من جانب المختصين ، والسبب قد يعود إلى عدم معرفة الباحثين واللغويين العرب اللغة الأردية ، وعدم وقوفهم على آثارها الأدبية والعلمية ، أو عدم اطلاعهم على خصائصها اللغوية لقلة الرغبة أو الحاجة إليها .

فقد لا ينازعني أحد في أن الأردية قد تركت أثرها السلبي ، وأدخلت الضيم على العربية في ألسنة طلابها وأساتذتها في شبه القارة على اختلاف

أجناسهم ولغاتهم ، اللهم إلا القلة التي استقام لسانها في اللغتين على السواء ، فأحدثت المشكلة نفسها التي كانت الفارسية قد أحدثتها بحق العربية من اللكنة والعجمة واللحن إبان الخلافة العباسية (٥) ، فالتطرق إلى هذه المشكلة وبحثها بحثاً علمياً ، وبيان طرق كفيلة لإزالتها أمر ضروري لا يستهان به ، وبما أن كاتب هذه السطور ليس ممن لـه اختصاص أو إلمام بعلم اللسانيات ، فليس بمقدوره القيام بمثل هذه المهمة العلمية الجادة والثقيلة ، إلا أنه لا يتردد في تقديم بعض الملاحظات على هذا الجانب مستعيناً بالله ، ومستدلاً بالشواهد والأدلة ، تاركاً معالجة الموضوع معالجة علمية دقيقة للمختصين علّها تكون مصدراً لتنبيه المشتغلين بتعلم العربية وتعليمها على التأثيرات السلبية التي تتركها الأردية في تعابيرهم وتراكيبهم العربية .

قبل الدخول في صلب الموضوع يجدر بنا أن نلقي نظرة عابرة على ما تحتله وما تتسم به الأردية والعربية من المكانة والنفوذ والذيوع في شبه القارة الهندية ، فأقول : إنه من المسلم به تاريخياً أن العرب كانوا على اتصالات تجارية مع الهند وحتى قبل البعثة (٦) ، وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (٦٣٦م) كان قد وصل الأسطول البحري المسلم إلى مياه الهند ، وأقام المسلمون العرب أول مستعمراتهم في ساحل مليبار في آخر القرن السابع(٧)، وتوالت فيما بعد رحلات الدعاة والتجار إلى الهند ، فيعلم من ذلك أن اللغة العربية دخلت شبه القارة الهندية عن طريق التجار والغزاة والدعاة المسلمين العرب ، وانتشرت فيها بفضل العلوم الإسلامية والعربية مثل التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، والمنطق ، والفلسفة ، والكلام ، والأدب ، حيث تدرس هذه العلوم في المدارس الإسلامية والدينية المنتشرة بكثرة في مختلف

المدن والقرى لهذه القارة ، وباتت تداول في نطاق علمي محدود بجانب مئات من اللغات المحلية المنحدرة من الفصيلة الهندية الأوربية بدافع ديني بحت .

ومن الحقيقة الثابتة أن اللغة العربية لم تكن قط لغة قومية أو رسمية أو لغة تخاطب في شبه القارة الهندية ، وإنما كانت - ولا تزال - لغة إكاديمية تداول وتفهم بين طبقة محدودة من العلماء والفقهاء ، وفضلاً عن ذلك فإن تعلم العربية وتعليمها في معظم المدارس والمعاهد لا ينشد وراءهما إلا فهم مراجع العلوم الإسلامية وتفهيمها ، وهذا هو السبب في أن مقررات الأدب العربي في تلك المدارس والمعاهد لا تخرج من نماذج الأدب القديم نثراً وشعراً ، وهي أيضاً لغة التلاوة والعبادة والدعاء لعامة المسلمين ، فهي لغة دينية مقدسة عندهم ، إلا أن هذا الوضع قد تغير نسبياً بسبب تطور وسائل الاتصالات والمواصلات ، وازدهار الاقتصاد في بعض الدول العربية خاصة دول الخليج منها ، فازداد الإقبال على العربية للأغراض المهنية والتجارية الصرفة ، فخرجت من النطاق العلمي الضيق ، و وجدت بعض الرواج في مجالات الحياة الأخرى ، ولكن لم تتمكن بعد من فرض سيطرتها على مجالات الحياة الأرحب، فلا تحظى بذيوع وشيوع تحظى بهما اللغة الإنجليزية الدخيلة في شبه القارة الهندية بفضل استعمارها وحكمها من قبل الإنجليز .

ويؤدى بنا هذا العرض السريع إلى الاستنتاج بأن اللغة العربية في شبه القارة الهندية تتسم بالمميزات التالية :

أ- أنها لغة دينية يتعلمها المسلمون لأداء شعائر دينهم ، وتلاوة القرآن الكريم بدون فهم المعاني في معظم الأحيان .

ب- أنها لغة علمية تداول وتفهم بين طبقة علمية محدودة .

ج- أنها لغة مقيدة بالموروثات الدينية والأدبية القديمة .
د- أنها لغة غير رسمية ، ولا تستعمل كلغة تخاطب .
هـ- أنها لغة لا تحظى بالذيوع والشيوع إلا بنطاق محدود .

غير أن هذه الحقائق لا تمنعنا من الاعتراف بما حققته بعض المعاهد والشخصيات العلمية في الهند بوجه خاص من نجاح فائق في إخراج اللغة العربي من الدائرة العلمية الضيقة ، وانتشالها من نطاق الموروثات الأدبية القديمة ، وتحويلها إلى لغة حية قادرة تستوعب كافة مجالات الحياة ، وتساير متغيرات العصر الحديث ، وترتقي إلى المستوى الذي لا يعترف به العرب فحسب بل يندهش منه (٨) إلا أن عدد تلك الشخصيات الفذة لا يتجاوز عدد الأصابع .

أما اللغة الأردية فهي لغة مزيج من الهندية والفارسية والتركية والعربية نشأت في الدكن بين العسكريين المنتمين إلى مختلف الأجناس ، وأخذت اسمها من الكلمة التركية : "أردو" بمعنى معسكر أو جيش (٩) ، وذهب أحد المؤرخين الهنود إلى القول بأن : "الأردية نشأت من إحدى اللهجات الهندية المغربية التي كانت متداولة منذ قرون في "دلهي" وضواحي "ميرت" ويدل على ذلك كثرة التعابير والمصطلحات الهندية في قواعد الأردية .. وكانت هي لغة عامة للشعب الهندي ، وليست لغة خليطة من مختلف اللغات المستعملة في أسواق "دلهي" كما ذهب إليه مير أمن ، وبعض الكتاب .. غير أن نموها وتطورها حصلا على أيدي أفراد الجيش والحكام والفاتحين المسلمين" (١٠) .

وكانت الأردية لغة الاتصال والتخاطب والتعامل بين عامة السكان المحليين والقادمين من البلاد الإسلامية الأخرى حتى القرن الثاني عشر

الهجري، في حين كانت الفارسية لغة رسمية ، ولغة الأدباء والشعراء ولغة الطبقة الحاكمة ورجال البلاط ، وكان الشاعر أمير خسرو (م ١٣٢٥م) أول من نهض بالأردية ، و وصل بها إلى لغة الأدب في عهد السلطان غياث الدين بلبان ، وارتقى بها الشاعر ولي الدكني (م ١٧٤٤م) إلى ذروتها (١١) ، و وصل بها كبار الشعراء الهنود مثل مير وغالب إلى مستوى حلت به محل الفارسية إلى حد كبير ،، ولكن أدباء الأردية وشعراءها ظلوا يحذون حذو الأدباء الفرس في إنتاجاتهم الأدبية ، حتى جاء العصر الحديث ، وجاءت معه الحضارة والثقافة الأوربية ، فبدأ شعراء العصر الحديث يقلدون الآداب الأوربية ، وازدهر الأدب الأردي في هذا العصر بمختلف فروع القول وأصنافه مثل الرواية ، والقصص والمسرحيات ، والأشعار الغنائية ، علماً أن الأردية تتميز عن الهندية الخالصة بكثرة الكلمات والتعبيرات العربية والفارسية فضلاً عن اتخاذها الحروف الفارسية وهي العربية أصلاً .

نالت اللغة الأردية اهتماماً كبيراً من المسلمين عامة ، والعلماء والأدباء خاصة ، كما نالت عناية بالغة من الحكام الإنجليز ، حيث أسسوا كلية خاصة باسم : "كلية فورت ويليام" في مدينة كلكتا لتنمية اللغات الهندية بما في ذلك الأردية ، فبفضل هذه الكلية أصبحت الأردية لغة رسمية ، وحلت محل الفارسية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي (١٢) ، وصارت لغة التدريس والتأليف والإعلام ، والتخاطب ، ولغة مشتركة إلى حدما لمسلمي شبه القارة الهندية ، وهي الآن لغة قومية ورسمية لباكستان .

ومما يدل على ذيوع الأردية ونفوذها في أوساط العلماء بغض النظر عن لغاتهم الأصلية أن كبارالعلماء والشيوخ في بنغلاديش –وحتى في الثمانينات–

كانوا يتحرجون كثيراً من التدريس بالبنغالية بدلاً من الأردية ، أما الآن – أي في التسعينات – تغيرت تلك الظاهرة نسبياً ، إلا أن تأثيراتها ما زالت قائمة في ألسنتهم وأقلامهم ، وتتسرب منهم إلى طلابهم .

وقد توصلنا خلال هذا العرض الوجيز إلى النتائج التالية :

أ– أن الأردية هي أوسع اللغات انتشاراً وتداولاً وفهماً بين مسلمي شبه القارة الهندية متعلمين كانوا أو غير متعلمين .

ب– أنها لغة رسمية وقومية فيها خاصة في باكستان .

ج– وأنها لغة أكثر شمولاً لكافة مجالات الحياة بالمقارنة مع العربية في شبه القارة.

د– أنها لغة تدرس بها مواد العلوم الإسلامية والعربية في معظم المدارس والمعاهد الدينية في شبه القارة .

هـ أنها تتشابه العربية في حروفها ، وخطها ، وكثير من مفرداتها .

ومن المعروف علمياً أن ذيوع لغة وشيوعها ، وتداولها وشمولها شتى نواحي الحياة يمنحها البقاء والهيمنة والتفوق والتأثير في اللغة التي لا تتسم بهذه الخصائص ، وبما أن اللغة العربية لا ترتقي إلى هذا المستوى والدرجة في شبه القارة – كما أسلفنا – فمن الطبيعي أن تتأثر بالأردية التي لها الغلبة والتفوق عليها في الخصائص المذكورة .

[يتبع]

الهوامش :

(١) الأدب المقارن –للدكتور طه ندا .

(٢) لغة الاعلام اليوم بين الالتزام والتفريط –للدكتور ابراهيم دردبزي . وفقه اللغة . ص/٢٤٢ –للدكتور علي عبد الواحد وافي

(٣) محب الدين الخطيب في مقدمة : "التحفة الاثنى عشرية"

(٤) محمود شكري الآلوسي في مقدمة كتاب : "التحفة الاثنى عشرية" . (٥) انظر : "الأدب المقارن" –للدكتور طه ندا

(٦-٧) "INFLUENCE OF ISLAM ON INDIAN CULTURE" BY DR. TARA CHAND

(٨) انظر: انطباعات الشيخ علي الطنطاوي في مقدمة "مسيرة الحياة" – للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

(٩) الأدب المقارن – للدكتور طه ندا .

(١٠-١١-١٢) وهو (رام بابو سكسينا) في كتابه . "HISTORY OF URDU LITERATURE"

العربية المتأثرة بالأردية

[٢]

بقلم : الأستاذ شهيد الله فضل الباري

وبعد هذه الإشارة الجانبية إلى الخلفية الماضية والحاضرة للعربية والأردية في شبه القارة ، نعود إلى صلب الموضوع ، ونقول إن تحليل نماذج التعابير العربية الشفهية والكتابية للأساتذة والطلاب المتأثرين بالأردية يثبت التأثيرات التالية :

١- التأثير الصوتي . ٢- التأثير الدلالي . ٣- التأثير البنيوي .

٤- التأثير الإملائي . ٥- التأثير الأسلوبي .

وسوف نوضح طبيعة هذه التأثيرات حسب التسلسل مع إيراد أسبابها وشواهدها في الصفحات القادمة .

١- التأثير الصوتي : تتشابه الأردية العربية تشابها شكلياً في الصوائت والصوامت رغم وجود فرق واضح بين اللغتين في عدد رموز تلك الصوائت والصوامت ، إذ أن عدد الصوائت الأساسية (Vowels) القصيرة والطويلة ، والصوائت المركبة (Dipthong) للغة العربية يبلغ ٦ و ٢ على التوالي ، وعدد صوامتها (Consonants) يبلغ ٢٨/صامتاً (١) ، في حين يبلغ عدد الصوائت الأساسية القصيرة والطويلة للأردية ٨ أو ١١/صائتاً ، وعدد صوامتها المركبة/٢ ، أما عدد صوامتها فهو ٣٦/صامتاً (٢) .

وإلى جانب هذا الفرق في العدد يوجد هناك فرق كبير بين اللغتين في طبيعة تلك الصوائت والصوامت وصفاتها من المد والقصر والإمالة والجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح ، والاستعلاء والاستفال والذلاقة والإصمات وغيرها من الخصائص والصفات ، كما أن مواقع النبر

(STRESS) والتنغيم (INTONATION) من المقاطع والجمل أيضاً تختلف اختلافاً بائناً و واضحاً في اللغتين .

ومما يوقع الناس في التباس كبير أن ٢٨/حرفاً من بين ٣٦/حرفاً هجائياً للأردية عربية شكلاً ورمزاً ، وفارسية أو هندية صوتاً ونطقاً ، وفضلاً عن ذلك فإن ٢٨/حرفاً من تلك الحروف الهجائية الأردية لا تمثل في حقيقة الأمر إلا ٢٠/وحدة صوتية (PHONEME) ، و أما الثمانية الباقية ، و هي : (ث ، ح ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، ق) فهي مجرد رموز بلا وحدات صوتية مميزة ، في حين أن كل حرف من الحروف الهجائية العربية يمثل وحدة صوتية مستقلة ومميزة ، فلكل منها رمز صوتي مستقل ، ومن هذا يتضح مدى مقدرة نظام الأبجدية العربية على التمييز بين الحروف المتشابهة كالسين والصاد ، والثاء والذال (٣) ، أما الأردية فتنقصها هذه الميزة ، وتدل على ذلك المقارنة التالية:

الحروف	في العربية	في الأردية
ذ ، ظ ، ز ، ض	تشكل ٤/وحدات صوتية مختلفة النطق والصفات	تشكل وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "ز"
ث ، س ، ص	تشكل ٣/وحدات صوتية مختلفة النطق والصفات	تشكل وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "س"
ت ، ط	تشكلان وحدتين صوتيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "ت"
ع ، أ	تشكلان وحدتين · تيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "أ"
ح ، هـ	تشكلان وحدتين صوتيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "هـ" (٤)

ومن الغريب أن الغالبية العظمى من الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها يفرقون بين نطق "ض" و "ظ" في تلاوة القرآن الكريم ، ولكنهم لا يفرقون بينهما في قراءة النصوص غير القرآنية أو المحادثات ، فينطقونهما مثل : "ز" ، وبذلك يقضون على صوت مميز و هام وهو "الضاد" التي سميت العربية لأجلها بـ "لغة الضاد" .

وشئ آخر يستحق الانتباه وهو أن ترقيق الصوت وتفخيمه لهما أثر كبير في تغيير معاني الكلمات في العربية دون الأردية ، ويعني ذلك أن الفشل في نطق الصوامت العربية بجميع أوصافها يتسبب في حدوث التباس وارتباك كبيرين في تحديد مدلول الكلمات وفهمه ، فالقلب والكلب ، أو الطابع والتابع ، أو الظليل والذليل ، أو الصبر والسبر ، لن يتوضح معنى كل كلمة من هذه الكلمات إلا بعد التفريق بين تفخيم حروفها الأولى وترقيقها عند النطق ، وبما أن الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها لا يحسنون التفريق بين هذين الوصفين لعدم امتياز الأردية بهذين الوصفين فيقعون في حرج كبير أمام العرب. واذكر زميلاً بنغالياً حصل على الدكتوراة في الأدب العربي من إحدى جامعات بنغلاديش وقع في مثل هذا الحرج أمام طالب سعودي جامعي عندما نطق : "الجاحظ" مثل : "الجاهز" !

ويتبين مما ذكرنا أن الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها متعودون أو مجبولون على الأصوات الأردية بالإضافة إلى انخداعهم من مظاهر التشابه بين العربية والأردية في الأصوات ، والرموز فيخلطون بين الأصوات العربية والأصوات الأردية . ويقدمون نماذج عربية شفهية أقل ما يقال عنها إنها عربية متأثرة بالأردية . وتخرج – طبعاً – من هذا التعميم أصحاب الذوق والمهارة والسليقة والملكة اللغوية الفائقة ، وما هم إلا قلة قليلة ، لأن هذا المستوى

"لا يتاح إلا بالمران والدربة الطويلة ، ومعاشرة أصحاب اللغة في بلادهم ومعايشتهم ، كما أنه يستلزم أن تكون لدى المرء حاسة لغوية دقيقة تلتقط الفروق التافهة وتتمرن عليها" (٥) .

٢- التأثير الدلالي :

استعارت الأردية نصيب الأسد من مفرداتها ومصطلحاتها العلمية والدينية من العربية ، وقيل : إن ما يقارب من ٧٥٪ من مفردات الأردية يتألف من كلمات عربية الأصل (٦) ، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الأردية . فاكتسبت أصواتها وأوزانها ، وأساليبها الدلالية ، لأنه : "من المقرر أن الكلمات المقتبسة تخضع للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فتتشكل في الصورة التي تتفق مع هذه الأساليب ، وينالها من جراء ذلك بعض التحريف في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها" (٧) ، فمن البدهي أن يكون هذا التحريف بائناً في التعابير العربية الشفهية أو الكتابية للناطقين بالأردية أو المتأثرين بها .

ولكي نتعرف على طبيعة التأثير الدلالي للأردية في العربية يجدر بنا أن نلقي نظرة فاحصة على المفردات العربية التي استعارتها الأردية ، وأن نحلل مدلولاتها الثابتة والمتغيرة ، فبإمكاننا أن نصنف المفردات الأردية المقتبسة من العربية ضمن المجموعات التالية :

أ- مجموعة المفردات التي لم يتغير مدلولها العربي .

ب- مجموعة المفردات التي تغير مدلولها العربي .

ج- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها العربي القديم .

د- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها الاصطلاحي .

هـ- مجموعة المفردات التي أصبحت غريبة أو متروكة الاستعمال .

وإليكم تفاصيلها :

أ- مجموعة المفردات التي لم يتغير مدلولها العربي :

توجد في الأردية طائفة من المفردات العربية التي لم يتغير مدلولها العربي الأول ، فهي مشتركة بين العربية والأردية في المعاني الأساسية أو الوضعية ، مثل : "قلم"، "دواة"، "وقت"، "تاريخ"، "خبر"، "محبة"، "صبر"، "مال"، "عزة"، "احترام"، "إصلاح"، "ترجمة"، "زيادة"، "موسم"، و "مسلم" و "مؤمن" وغيرها من المفردات ، وهذه المجموعة من المفردات لا تشكل أيّ التباس أو ارتباك في تعيين مدلولها إذا أطلقت على حقيقتها ، فهي أقل المفردات تأثيراً في الدلالة العربية .

غير أن هناك أمراً خطيراً لا ينبغي أن يغيب عن بالنا ، وهو أن معنى الكلمة يتعدل تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها ، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزعها اللغوي (LINGUISTIC DISTRIBUTION) ، كما أن للكلمات معاني إضافية كثيرة غير معانيها الأساسية (٨) ، وهذا الجانب قد يغيب عن بال الناطقين بالأردية خاصة أولئك الذين يكتفون بالمعنى المعجمي (LEXICAL MEANING) للمفردات ، فلا يحسنون صياغة العبارات العربية ، ولا يقدرون على حسن استخدام المفردات .

ب- مجموعة المفردات التي تغير مدلولها العربي في الأردية :

نجد في الأردية مجموعة كبيرة من المفردات المستعارة من العربية قد تغير مدلولها في الأردية ، مثلما حدث في الفارسية والتركية (٩) ، وهذا أمر طبيعي: "لأن المعاني لا تبقى على حال واحدة ، بل هي دائمة التغير وإن كان تغيرها بطيئاً يمر في أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر ، كذلك نرى تغير المعاني مقصوراً

على البعض دون البعض الآخر" (١٠) ، فهذه المجموعة من المفردات عربية المادة والاشتقاق ، وأردية المفهوم والمدلول ، ولكن الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها الذين ترسخ في أذهانهم المدلول الأردي لتلك المفردات ، ولا يعرفون مدلولها العربي الأول ، يحسبون أنها متحدة المدلول ومتساوية المفهوم في العربية والأردية ، فيستعملونها في الإنشاء العربي للدلالة على ما يفهمونه منها في الأردية ، فتأتي تعابيرهم مشحونة ومتأثرة بالدلالات الأردية ، و مخالفة لما يألفه العرب من المعاني و المفاهيم ، لو نظرنا إلى القائمة التالية ليتجلى لنا الأمر :

المفردات	مدلولها العربي (١١)	مدلولها الأردي (١٢)
تقرير	إثبات/تحديد/اتخاذ القرار	خطاب/كلمة (Speech)
تهذيب	إصلاح/تثقيف/تربية	الحضارة/المدنية
محكمة	مكان انعقاد هيئة الحكم	إدارة/مصلحة (Department)
الزام	إجبار/إكراه/تكليف	اتهام/ادانة/افتراء
ملتوي	غير مستقيم/منحني	مؤجل (Postponed)
مقابلة	مواجهة/اجتماع	منافسة/مسابقة
غصة	هم/حزن/ما يعترض في الحلق	غيظ/غضب
زخم	دفع/قوة	جرح/قرح
محنة	ابتلاء	جهد/كد
جلوس	قعود	مسيرة/موكب
زحمة	زحام/ازدحام	عناء/مشقة
إدارة	تدبير/تصريف/مصلحة	معهد/مؤسسة (Institute)
غريب	غير معروف/أجنبي/عجيب	فقير

ويتضح من هذه القائمة بأن كل لفظ عربي المادة والاشتقاق ليس من الضروري ان يكون عربي المدلول والمعنى في اللغة الأردية ، ولكن الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها لا يدركون هذه الحقيقة ، وقد سمعت خطيباً شهيراً في بنغلاديش - له حظ وافر من اللغة العربية - استخدم كلمة : "جلوس" مكان الموكب والمسيرة في خطبته ، و أذكر كذلك مواطناً باكستانياً استعمل كلمة : ... ، ثم ضُحك عليه واستُهزئ به عندما عُرف المعنى الحقيقي الذي قصد به المواطن الباكستاني المذكور .

ج- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها العربي القديم :

استعارت الأردية من العربية مجموعة كبيرة من المفردات التي اكتسبت ... معاني جديدة في العربية ، ولكنها بقيت على معانيها القديمة في الأردية ، واكتساب الكلمات معاني جديدة إلى جانب معانيها الأساسية القديمة ظاهرة لغوية مسلم بها عند اللغويين ، فقد صرح أحد اللغويين الغرب بأن : "نفس الكلمات - بسبب تطور اللغة خلال مرور الزمن - تكتسب معنى آخر ، وتشرح فكرة أخرى" (١٣) ، وقال لغوي غربي آخر : "في المخترعات والاكتشافات الحديثة نحن نستعمل ألفاظاً قديمة لمعان حديثة . ولذا يتغير المعنى" (١٤) ، واعترف بهذه الظاهرة لغوي عربي شهير قائلاً : "وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة مثل المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والدبابات والتسجيل والجرائد والصحف" (١٥) .

وإليكم بعض المفردات من هذه المجموعة :

كلمة	المدلول اللغوي القديم	المدلول المحدث
[illegible]	اللحن/كل ما يسمع/سمعة	الرأي (Voice)

كلمة	المدلول اللغوي القديم	المدلول المحدث
صندوق	وعاء خشبي أو معدني/خزينة	منظمة أو مؤسسة تدير أموالاً (FUND)
مصلحة	صلاح/منفعة/خير	هيئة إدارية فرعية تتولى مرفقاً عاماً
خدمة	سد حاجة الغير أو نفع الغير	وظيفة/عمل حكومي
دائرة	حلقة/نطاق/مجال	إدارة/مصلحة/قسم
صورة	شكل/نوع/حالة	نسخة (COPY)
فصل	موسم/فرع/جزء	أحد أقسام المدرسة/الصف
هيئة	وضع/ كيفية/شكل	الجمعية/سلك/منظمة
استعداد	ملكة/سليقة	أخذ العدة/تهيئة
شهادة	بينة	إجازة/سند (CERTIFICATE)

وأما سبب انحصار هذه المفردات على مدلولها القديم في الأردية فيرجع إلى الفترة التي اقتبست فيها تلك المفردات من العربية ، وغني عن التذكير بأن تلك الفترة لم تكن قد اكتسبت فيها المفردات المذكورة معانيها الجديدة التي لحقت بها في الفترة المتأخرة ، فلم يمكن تسجيل هذهِ المعاني الجديدة مقابل تلك المفردات في القواميس الأردية ، أو في القواميس العربية الأردية المدونة آنذاك ، وبما أن المهتمين بالعربية من طلاب المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية يستعينون بمثل هذه القواميس فليس بوسعهم الاطلاع على المعاني الجديدة التي اجتسبتها هذه المجموعة من المفردات العربية ، وهذا هو السبب أن تعابيرهم العربية تنقصها الحداثة ، والأسلوب البياني الجديد بفعل تأثير الأردية إلا من هم اطلاع واسع على القواميس الثنائية للغة الحديثة .

د- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها الاصطلاحي القديم :

هناك طائفة من المفردات الأردية المقتبسة من العربية التي ظلت محتفظة ومقيدة بمدلولها الاصطلاحي القديم رغم انها تستعمل في العربية للدلالة على معان أخرى مثل :

الكلمة	مدلولها الاصطلاحي	مدلولها العام
استفتاء	طلب فتوى (مصطلح فقهي)	معرفة الرأي
مراقبة	رياضة من رياضات قلبية (مصطلح تصوف)	إشراف/رصد/تفتيش
مصدر	المشتق منه (مصطلح علم الصرف)	مكان الصدور/مرجع
مخرج	عضو من أعضاء النطق (مصطلح علم التجويد)	مكان الخروج/منفذ
حديث	أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وإقراراته	كلام/خطبة/مقابلة/جديد
رواية	نقل الحديث بسند	القصة الطويلة (NOVEL)
مادة	جوهر (مصطلح الفيزياء)	سلعة/بند (ARTICLE) مكون
سيارة	كوكب سيار (علم الفلك)	عربة آلية سريعة السير

وقد دخلت هذه المجموعة من المفردات في الأردية من مختلف العلوم للدلالة على المعاني الاصطلاحية لتلك العلوم والفنون ، فلم تتجاوزها ولم تتغير حتى الآن ، فلا يفهم الناطقون بالأردية أو المتأثرون بها من تلك المفردات إلا هذه المعاني الاصطلاحية ، وهذا هو السبب أنهم لا يقدرون على استخدام مثل هذه المفردات في العربية خارجة عن نطاق مدلولاتها الاصطلاحية المعروفة عندهم .

هـ- مجموعة المفردات التي أصبحت غريبة أو متروكة الاستعمال في العربية المعاصرة : في اللغة الأردية نجد عدداً لا بأس به من المفردات العربية التي

أصبحت إما غريبة أو متروكة الاستعمال في التعابير العربية المعاصرة ، وحلت محلها مفردات أو مصطلحات جديدة ، وقد أشار إلى هذه النقطة اللغويون العرب المعاصرون ، حيث يقول واحد منهم : "وقد دثر من اللغة (العربية) كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة .. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء" (١٦) ، غير أن مثل هذه المفردات الأردية المستعارة من العربية لا تزال تحتل مكانها في عالم الاستعمال والتداول، انظروا إلى الجدول التالي يتضح لكم الأمر :

الكلمات	المعاني	الملاحظات
إنعام	جائزة	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
خط	رسالة/مكتوب	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
إجازة	إذن	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
مسألة	مشكلة	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
ذرائع	وسائل/وسائط	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
اتفاقاً	بصدفة	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
نقصان	خسارة	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
جناب	محترم(١٧)	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
رسالة	كتاب صغير/كتيب	قليلة الاستعمال بهذا المعنى

وحيث إن الناطقين بالأردية أو المتأثرين بها من طلاب المدارس الإسلامية لا يعرفون هذه الحقيقة لبعدهم عن بلاد العرب وعدم اطلاعهم على التعابير المعاصرة ، وارتباطهم بالتعابير القديمة عن طريق كتب القدماء من المحدثين والمفسرين والأدباء والفقهاء ، فليس من الغريب أن تأتي تعابيرهم مشحونة بمثل هذه الألفاظ أو الألقاب الغريبة الاستعمال أو المتروكة ، انظروا إلى

الرسالة التالية التي كتبها مدير لمدرسة إسلامية إلى مدير إحدى الهيئات الإسلامية الخيرية العاملة في بنغلاديش :

إلى أهل العز والوقار وصاحب المجد و الفخار أفضل الأحيان وفائق الاقران إمام أهل السنة رئيس خدام الإسلام والمسلمين أدام الله بقاءهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اتقدم إلى مقامكم السامي بأكمل التحية وسلام وبعد ، فيا أيها الشيخ المعظم ! إني سمعت أنكم تخدمون الإسلام والمسلمين بتعليم أطفال المسلمين وإهداء تفسير معارف القرآن وغيره من الكتب المحققة الذي يتغذى بقرائها العلماء وتقر برؤيتها العيون ، وتستريح بمطالعتها الأرواح وتنكشف بتفكيرها الدماغ ويزداد بتكرارها العلم .

وها أنا مقيم في المدرسة الغنية الإسلامية في ... ليس في هذه الإدارة من الكتب الثمينة ولا نستطيع الشراء لضعف الحالة ، والأساتذة محروم عن غذائهم مع اشتياقهم إلى المطالعة ، فلهذا بسطت يد المسألة إلى تفضلكم وكرمكم لكتبكم ، فأرجو نظر عنايتكم لهذه الإدارة بإعطاء كتبكم المذكورة ، أطال الله بقاءكم لهذه الخدمة المقبولة فقط .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الراجي

(رئيس هذه الإدارة)

[يتبع]

الهوامش :

(١) الأصوات اللغوية –للدكتور إبراهيم انيس ، ط/١٩٨٤م .

(٢) انظر جدول رموز الأصوات اللينة والساكنة في القاموس : (STANDARD TWENTIETH CENTURY DICTIONARY) أردو-إنجليزي -للبروفيسور بشير أحمد القريشي ، و قاموس : (URDU-HINDI DICTIONARY) طبع تحت رعاية أنجمن ترقي أردو سنة ١٩٨٢م .

(٣) فقه اللغة -للدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين ، ط/١٩٨١م .

(٤) انظر الأدب المقارن -للدكتور طه ندا ، وفقه اللغة -للدكتور علي عبد الواحد وافي.

(٥) في علم اللغة العام -للدكتور عبد الصبور شاهين .

(٦-٧) فقه اللغة -للدكتور وافي .

(٨) انظر : علم الدلالة -للدكتور أحمد مختار عمر ، لمعرفة أنواع المعنى المختلفة، ط/١٩٨٨م .

(٩) انظر : الأدب المقارن -للدكتور طه ندا .

(١٠) معالم اللهجات العربية -للدكتور أبوسكين .

(١١) المعجم الوسيط ، المورد : عربي-إنجليزي -للدكتور روحي البعلبكي .

(١٢) القاموس الجديد : أردو-عربي -لوحيد الزمان الكيرانوي :

STANDARD TWENTIETH CENTURY DICTIONARY : URDU-ENGLISH, BY BASHEER AHMAD QURAISHI.

(١٣) "DIVERSITY OF MEANING" لعالم اللغة الإنجليزي كوهين - نقلاً عن علم الدلالة -للدكتور أحمد مختار عمر .

(١٤) "SENSE AND SENSE DEVELOPMENT" نقلاً عن المرجع نفسه .

(١٥) دلالة الألفاظ -للدكتور ابراهيم أنيس .

(١٦) اللغة العربية كائن حي -لجرجي زيدان .

(١٧) معجم اللغة العربية المعاصرة -لهانز فير .